العرب
الثلاثاء 2020/03/24
السنة 42 العدد 11656

فنانة سودانية شابة حياتها أشبه بفيلم

بُنّة خالد: «ستموت في العشرين» جعلني أقوى رغم المرارة

بُنّة خالد في الفيلم كما هي في الحياة.. نظرة إلى واقع أفضل

صابر بن عامر
صحافي تونسي

اسمها، الفني بُنّة خالد، حبّة بنّ واحدة، كلونها الأسمر، كافية لتُغيّر نظرة المجتمع السوداني المحافظ إلى العظم تُجاه طموحات شابة مُتمرّدة على التقاليد والأعراف. كابدت الويلات من أجل أن تكون هي كما تودّ أن تكون، لا كما يودّون لها أن تكون، الحجر، التهديد والوعيد، فآثرت الهروب.. ثم الانتظار. "العرب" التقت الفنانة السودانية الشابة، إسراء خالد (اسمها الحقيقي) على هامش مهرجان الأقصر للسينما الأفريقية في دورته التاسعة، فزفّت إلينا طموحاتها رغم الألم.

واثقة رغم الخوف، مُكابرة رغم الوجع، مُتفائلة رغم المرارة، هذه العبارات لا يُمكن أن تلخّص حجم ما عانته الشابة السودانية بُنّة خالد من أجل تحقيق حلمها في اقتحام مجال مُلغم، ألا وهو التمثيل، وسط مجتمع ذكوري تشبّع على مدى ثلاثة عقود بقواعد اجتماعية ودينية صارمة إلى جانب العزلة الدولية والعقوبات الاقتصادية، زمن الرئيس السوداني السابق عمر حسن البشير.

وتبدو حياة الممثلة السودانية الشابة، بُنّة (26 عاما) أشبه بأحداث فيلم "ستموت في العشرين" لأمجد أبوالعلاء الذي شاركت فيه بشخصية "نعيمة"، الفتاة التي تمرّدت على التقاليد والأعراف من أجل التمسّك بحبّ حياتها. لكن الصدّ الذي واجهته من حبيبها "المزمّل" جعلها تختار/مُرغمة الهروب إلى الوراء، وهو ما حصل لها تماما في الواقع، مع ضرورة التنسيب.

هنا حوار مع بُنّة خالد التي التقتها "العرب" على هامش عرض فيلم "ستموت في العشرين" لمخرجه أمجد أبوالعلاء، في نطاق ضيق، بمهرجان الأقصر للسينما الأفريقية في دورته التاسعة، بعد قرار القائمين على المهرجان إيقاف العروض الجماهيرية إثر تفشي فايروس كورونا المُستجد "كوفيد – 19" على مدا واسع بصعيد مصر.

بين الواقع والخيال

الفنانة السودانية الشابة، بُنّة خالد، لعبت في فيلم "ستموت في العشرين" دور "نعيمة"، وعنه تقول "هي تمثل الحياة في الفيلم، هي الحب، هي الأمل.. أحبّت المزمّل الذي يعيش أسير نبوءة أنه سيموت في العشرين. وهي في عامها السابع عشر، لم تصدّق الأمر، حاولت إقناعه برأيها، فلم يستمع إليها.. لتنهار في الأخير وتتزوّج من رجل آخر".

و"ستموت في العشرين" هو الفيلم الروائي الطويل الأول للمخرج السوداني أمجد أبوالعلاء وسابع فيلم في تاريخ السودان، استغرق تصويره سنتين، حيث بدأ تصويره في سبتمبر 2018، ليتوقّف إثر ذلك بسبب أحداث الثورة السودانية، وتم استكماله فيما بعد.

واستوحى أبوالعلاء أحداث الفيلم وشخصياته من رواية "النوم عند قدمي الجبل" للكاتب السوداني حمور زيادة. وتدور أحداثه بمحافظة الجزيرة (جنوب مدينة الخرطوم)، حيث يُولد شاب في قرية سودانية تعتنق أفكارا صوفية، وتصله نبوءة تُفيد بأنه سيموت في سن العشرين، فيعيش أيامه في خوف وقلق، إلى أن يظهر في حياته سليمان، وهو مصوّر سينمائي مُتقدّم في العُمر.

يسعى سليمان، لإخراج المزمّل (قام بالدور مصطفى شحاتة) من حالته، كي يُكمل حياته بشكل طبيعي. وفي الأثناء يُداهمه العشق من قبل الفتاة "نعيمة" (بُنّة خالد) التي حاولت المُضيّ به قُدما نحو حياة ملأها الغرام، لكنه يرفض حبها.

> الفنانة السودانية كابدت العديد من المشاق إثر عرض الفيلم على منصات التواصل في السودان، وهي سليلة عائلة مُحافظة ومرموقة

كما تحدث له تحديات وعوائق كثيرة، إذ يهاجر والده إلى أديس أبابا، طلبا للعمل، وهو الهارب من مسؤوليته تجاه عائلته، فتتعقّد حياة البطل.

وتقول بُنّة "الفيلم، هو تجربتي الأولى في عالم التمثيل، وأنا القادمة من عالم الإعلانات كـ'موديلز'، التقيت أمجد في مهرجان سودان فيلم فاكتوري، حيث كنت من جملة المشاركين في هيئة تنظيم المهرجان، فاقترح عليّ الشخصية، ثم تقدّمت للكاستينغ وتمّ قبولي لأداء الدور".

ولا تُخفي الفنانة السودانية ما كابدته من مشاق إثر عرض الفيلم، على منصّات التواصل الاجتماعي في السودان، وهي سليلة عائلة مُحافظة ومرموقة، بالخرطوم، حيث ما أن علم والدها بكونها قبّلت في الفيلم البطل، (قبلة خفيفة على فم المزمّل) حتى حبسها في البيت، وخيّرها بين الزواج أو القتل.

ومع ذلك لم تخف أو ترتبك، بل اعتبرت أن هذا الأمر طبيعي، وعليها أن تتحمّل نتيجة خياراتها، لكنها أشارت لـ"العرب" إلى أنها شعرت بالرهبة حين قصّ والدها شعرها، لما لشعر المرأة الطويل من رمزية في هكذا مجتمعات تقليدية. حينها، فقط، قرّرت الهرب من البيت، بل ومن البلد أصلا.

وتضيف "كانت أطول أربع ساعات مرّت عليّ، تلك التي مكثتها في مطار الخرطوم، في انتظار إقلاع طائرتي إلى مطار القاهرة، كنت خائفة أن يراني أحد معارف والدي ويخبره، فتكون الكارثة".

وفي سؤال "العرب" لماذا مصر تحديدا؟ أجابت "لأن السفر إلى مصر لا يستدعي تأشيرة، وربما أيضا كي أستكمل حلمي بالتمثيل في هوليوود الشرق".

وتعترف بُنّة أنها ما كانت تتوقّع في يوم ما أن تقتحم مجال التمثيل، قائلة "كانت تجربة مُرعبة بحق، فمن الصعب التغيير من مجال إلى مجال، رغم تحمّسي الشديد للتجربة، ومع ذلك انهرت وبكيت مع أول مشهد تصوير، وقلت 'مش عايزة أشتغل' (لا أريد العمل في هذا المجال). أمجد وقف إلى جانبي كثيرا، وقاتل مع الممثلين من أجل أن يصل الفيلم إلى المرحلة التي ظهر عليها، وينال العديد من الجوائز".

وحاز فيلم "ستموت في العشرين" على العديد من الجوائز العالمية والعربية، لعل أهمها جائزة مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي "أسد المستقبل" لأفضل عمل أول في دورته الـ76، وجائزة مهرجان الجونة السينمائي لأفضل فيلم روائي طويل في دورته الثالثة، وجائزة التانيت الذهبي في مهرجان أيام قرطاج السينمائية نوفمبر 2019.

ومع ذلك لم ينل العمل إعجاب عدد كبير من رواد مواقع التواصل الاجتماعي في السودان، فهاجمه البعض بسبب ما قالوا إنه "تشويه لصورة السودانيين"، فيما دافع عنه غيرهم، قائلين إنه يعرض واقعا موجودا بالفعل.

مجتمع صوفي

عن هذا الجدل والانقسام في الآراء حول الفيلم، تقول بُنّة خالد "نحن في السودان، لدينا سودانان، سودان مُحافظ بشكل مُبالغ فيه، وسودان مُثقّف ومُنفتح على الحريات والثقافات، وإن لماما، خاصة إثر انهيار نظام البشير الإسلامي".

وردا على سؤال "العرب" إلى أيّ مدى يُسيطر فكر النبوءة على المجتمع السوداني، قالت "السودان بطبعه صوفي جدا، وأهله يتّبعون الشيوخ بطريقة مُخيفة، فهم يؤثرون كثيرا في حياة الناس، لكن أصبح هناك تطوّر واختلف الوضع الآن، وبدأنا ننظر إلى الدين بطريقة مُغايرة، والجيل الجديد لم تعد له علاقة بهذه الأمور".

وكان السلوك العام للمرأة، في زمن البشير، مقيّدا بضوابط شديدة للغاية، فكانت عقوبة ارتداء النسوة للسراويل، مثلا، تصل حدّ الجلد. ولا يمكن للمرأة السودانية أن تخرج إلى الشارع دون وضع "الطرحة" (وشاح) فوق رأسها، وإلاّ عُدّت ناشزا.

وبالرغم من أن شبكة البشير ذات الجذور الإسلامية العميقة توارت في مكان بعيد من المشهد منذ سقوطه في أبريل 2019، إلاّ أن بعض التحرّكات، بما في ذلك دعوات من قبل جماعة متمرّدة جنوبية لإقامة دولة علمانية، تسبّبت في رد فعل عنيف على وسائل التواصل الاجتماعي، حيث ندّد الواعظ عبدالحي يوسف، من التيار المحافظ المتشدّد بوزيرة الشباب والرياضة، ولاء البوشي، بسبب تنظيم دوري لكرة القدم للسيدات.

ويقول ناشطون إن التقدّم غير مؤكّد بموجب اتفاقية تقاسم السلطة بين الجيش وجماعات مدنية والتي من المقرّر أن تستمر حتى أواخر عام 2022. ويشتكون من أن التشريعات التي يستند إليها قانون النظام العام ما زالت موجودة، وأن النساء غير محميات من التحرّش الجنسي أو الاغتصاب. كما أن عدد النساء اللاّتي يحصلن على وظائف سياسية قليل للغاية.

وعن ذلك تقول بُنّة "ما تم إنجازه إلى حد الآن، لا يتوافق مع ما قدّمته المرأة السودانية في الثورة والتغيير، ومع ذلك سيتغيّر الوضع نحو الأفضل، أنا مُتأكدة من ذلك".

وتستقرّ بُنّة خالد حاليا في القاهرة، حيث تعمل في مجال الإعلانات، لتوفير قوتها اليومي، وهي تسعى لتثبيت قدميها في عالم التمثيل بهوليوود الشرق، كما توصّفها، مُعربة عن أملها في أن يأتي فيه اليوم الذي يفتخر فيه والدها ومن ثمة عائلتها، وكل السودانيين، بمشوارها الفني الذي ترنو إلى تحقيقه بالتراكم وتعدّد التجارب السينمائية والتلفزيونية على حد سواء. لتختتم حوارها مع "العرب" بقولها "بكرة خير (غدا سيكون أفضل)، بحول الله".

«الآخرون هم الجحيم» هكذا تكلم الفن في زمن الأوبئة

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

عندما أعلن المفكر الفرنسي جان بول سارتر أن "الآخرون هم الجحيم"، قصد بهذه العبارة أنه عندما تكون العلاقة مع الآخرين علاقة فاسدة فإنهم ليسوا إلاّ الجحيم.

وهذا الجحيم الذي لم يكن يوما جديدا على بني البشر، تجلّى منذ بداية التشكيل الفني في أكثر اللوحات رهبة وإعلانا كيف أن الجحيم تجسّد على الأرض بتحرك البشر على سطحها ضد بعضهم بعضا عن سابق إصرار وتصميم، أو كتعبير عن غريزة العنف المؤصلة في نفوسهم.

كثيرة هي الأعمال الفنية التي أنتجت تحت ظل الكنيسة، وخرجت في أحيان كثيرة بعيدة عن التبشير بالجنة والدعوة إليها، لتبلغ درجة هائلة من العنف جعلت الناظر إليها يتساءل هل على عشبة الموت المخيفة أن تنمو حتى يُصار إلى تلقف أزهارها الجنائزية التي تناقض منبتها؟

لسنا بصدد الكلام عن هذه اللوحات بشكل خاص ولا الإجابة على هذه التساؤلات لأننا، والأحرى بنا اليوم، التأمل في الأعمال الفنية التي رصدت الموت والعذاب والجحيم بعيدا عن أيّ لعنات الآلهة، وبمعزل عن التبشير بالخير والمحبّة، وخارج إطار العقاب الإلهي، الذي أعتبر فيه وعلى سبيل المثال، مرض الجذام، عقابا مُنزّلا على فئة من الشعب.

ولعل اللوحات التي جسّدت الطبيعة الصامتة أو كما تسمى باللغة الفرنسية "الطبيعة الميتة"، هي لوحات جحيمية متواضعة ومقدّمة لفكرة الجحيم الأرضي الكبير الذي واجهه الإنسان وأنشأه في آن واحد.

لوحات تعجّ بالجماجم والشموع الذائبة والفاكهة المهترئة التي ترمز إلى هشاشة الحياة وآفات الترف والجشع والاستهلاك. وقد انتشرت هذه الأعمال في هولندا أواخر القرن السادس عشر والقرن السابع عشر قبل حلول أزمان الأوبئة بداية بمنتصف القرن السابع عشر وصولا إلى اليوم.

وقد عرفت البشرية أوبئة كثيرة حصدت الآلاف من البشر من الطاعون الأبيض، أي السل، والطاعون الأسود والكوليرا والتيفوئيد وغيرها من الأوبئة التي شكلت إنسانية جديدة تحكمها علاقات اجتماعية شائكة غير مبنية بمعظمها على المحبة والتسامح، بل على الطبقية واستغلال الآخر. ولا زالت هذه الإنسانية عرضة للتحوّلات تحت سندان الرعب من الاندثار والانقراض وتحت وقع الأوبئة "الطبيعية "منها والمُصنّعة.

من تلك الأعمال التي خرجت بشكل عام عن نطاق اللعنات المُنزّلة والتي شكّلها البشر في ما بينهم، فئة من الأعمال الفنية نشأت في صلب أو ما بعد انتشار الأوبئة الناتجة بمعظمها عن الفقر المدقع، وغياب النظافة والتجاور اللصيق بالحيوانات الأليفة التي لم تحض بالرعاية الكافية لتتخالط مع الآفات الاجتماعية بكل ما فيها من بشاعة وقذارة.

نذكر من تلك الأعمال ما قدّمه الفنان بيتر بروغل في مشاهد بشرية مقتضبة تداخل فيها العجائبي بالجحيمي. بدا فيها الناس كالصعاليك أمام عظمة الكون و"نبله". وجاءت أعمال الفنان هيرونيموس بوش أكثر فظاعة وظهر فيها عامة الشعب وكأنهم مجموعة حشرات تتآكل في ما بينها وتتوالد منها شياطين بشرية (النسخ الأولية لما يعرف اليوم في الفن وفي سينما الرعب والخيال العلمي بالأموات/الأحياء) أقوى من كل الأوبئة الناتجة عن الميكروبات والفيروسات ذات أصول علمية/طبية. لا يبدو المشهد مختلفا اليوم في ظل تفشي وباء كورونا المُستجد الذي طال العالم بأسره. ولد ونما في ذهن العالم مُرتبطا كما في الماضي بالنظرة العنصرية إلى الآخر. فالصين كانت منذ إصابتها بالفايروس محطة تنمّر وعنصرية شديدة، إذ أحيل سبب انتشار الفايروس إلى طبق "شوربة الخفاش" وغيرها من المُمارسات الغذائية الغريبة المعروفة في الصين. ما لبثت الصورة أن تبدّلت عندما ضرب الفايروس العالم كله.

ويجدر الانتباه إلى أن إيطاليا التي تعاني اليوم ما عانته الصين بأضعاف من جراء انتشار الفايروس لم تتعرّض إلى التنمّر، لأن لديها ما يحصّنها من عين الآخر "الأجنبي" كل النبل والفوقية الثقافية.

> فنون البشرية تقف بأسرها في حيّز يفصل ما بين مرحلة ما قبل الفايروس وما بعده، وما بين مرحلة التواصل المجتمعي والتباعد

وكما في السابق اعتبرت المناطق الفقيرة منبعا ومرتعا خصبا للفايروس أكثر من كونها ضحية شحّ يمنعها من تحصين ذاتها ضد هجمات الوباء، لذلك امتنع معظم الناس، وبشكل أكبر، من الدخول إلى الأحياء الفقيرة. نتذكّر هنا كيف هربت الطبقات الأرستقراطية من المجتمع خلال وباء الطاعون من مناطق عيش الطبقة العاملة، حيث القدرة على محاربة انتشار الفايروس منخفضة نسبيا. اليوم وإن كان سبب الامتناع عن دخول المناطق الفقيرة سببا "صحيا"، إلاّ أنه ساهم وكرّس ووسّع الشرخ القائم ما بين الطبقات في زمن انفتح فيه العالم كله على بعضه البعض، وسهّل تنقّل البشر واستيراد البضائع وتصديرها، لذلك لا عجب أن سمّي فايروس "كوفيد – 19" السريع وواسع الانتشار بـ"وباء العولمة".

تقف فنون المجتمعات البشرية بأسرها في حيّز يفصل ما بين مرحلة ما قبل الفايروس وما بعده، وما بين مرحلة التواصل المجتمعي والتباعد. الفنون كما شأنها دائما ستطرح مجموعة أسئلة في أساليب فنية متنوعة: كيف ستكون النظرة إلى الآخر؟ هل من منطق أنه مصدّر للثروات التي لا حارس لها؟ هل سيبقى الآخر، الكويكب البعيد الذي لن يؤدّي احتراقه إلى أيّ أثر يُذكر في حياة الأمم/المجرّات والبلدان/الكواكب المحيطة؟ هل ستتعمّق اللامبالاة بالآخر؟ هل نحن أمام صناعة أكثر إنسانية لمفهوم الإنسان، أم نحن بصدد التحضير للمزيد من إذلال الآخر واستغلاله بشهية متجددة وأكثر شراسة؟

الفن الحديث يقف حائرا أمام الوباء (لوحة للفنان جوان خلف)